ظهرياً عند ما تلج باب دارك لئلا يكون بيتك بؤرة للكدر والغم

هذا ويوجد بعض آخر من الرجال وهو الذي يظن ان امرأته ليست كفوءا لمناظرته او التحدث معه فيظل مدة وجوده بالمنزل معقود اللسان لا ينبث ببنت شفة : انما قد تتغير حالته عندما يأتيه الزائرون فتجده كثير الكلام والاحاديث خصوصاً عندما يكون جالساً على مائدة الطعام وفي غير هذا المقام تراه جامداً لا يجاوب على السؤال الذي يطرح عليه من زوجته الا بكل ايجاز مع انهُ ربما كان سؤالاً ذا بال ويحتاج الى شرح و بيان

فمثل هذا الزوج الذي لا يشعر بلذة الحياة لا يفقه معنى العائلة الكاملة التي تحتم على الواحد ان يكون عضداً للاخر في كل الظروف والاحوال ومعيناً له على احتمال متاعب الحياة على اختلاف مشاربها

عظة من السينيماتوغراف

كنت كلما طلبت الى جاك أن يبطل السكر ويمتنع عن معاقرة بنت الحان واحاول أن انصحه وأعدد له اضرارها سبقني هو في القول وانشدني قول القائل

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

كان اكثر مني معرفة بعواقب المسكر والادمان على الخمر ولكنه كان شديد التعلق بمعاقرتها عظيم الرغبة في الادمان عليها ... كم نصحته عنها فلم ينتصح ومنعته فلم يمتنع حتى اذا ما ضيقت عليه المذاهب واكثرت له النصح والارشاد كان يوعز اليَّ انه متى عاد من محل عمله اقفل الباب عليه واخفى المفتاح عنه فلا يجد سبيلا للخروج من المنزل . فكنت افعل ذلك ولكنه من سوء تصرفه كان يخرج في اليوم التالي من محل عمله الى الحانة مباشرة فلا أراه في ذلك اليوم

نصح اليَّ بعضهم ان آتي له باجود الخمور في المنزل حتى اذا ما عرف الخمر الجيد لا يعود الى شرب السم الزعاف في الخارج ففعلت ذلك ولكن على غير جدوى لانه كان ولوعاً بالجلوس مع زملاء السوء الذين يجرونه الى مداومة الشرب حتى يفقد الرشد ويعود الى منزله وهو يتخبط في طريقه ويقع فتتوحل ملابسه وتتلوث — وبقينا على هذا الحال عهداً ما اسوأه من عهد لان جاك فقد فيه نضارة شبابه وصبغ الاحمرار بياض عينيه وذبلت خدوده وضعفت اعصاب قدميه فلم تعد تراه يسير بقدم ثابتة سكراناً كان او غير سكران

حتى ذات مساء اذ حان ميعاد خروجه المشؤوم دق قلبي وهلع فؤادي لانه في مثل هذه الساعة من كل ليلة يخرج الى حيث يملأ جوفه سموماً ما دخلت بطن امرئ الا وخرج العقل من رأسه والمال جزافاً من جيبه ... فوقفت في طريقه متوسلة اليه تلك الليلة أن يخرج بي الى التنزه وعاتبته على خروجه وحده كل ليلة وحرماني من التنزه في صحبته ولو مرة واحدة . فلبى طلبي بعد تردد طويل وسألني اين اريد أن اذهب . فحرت في أمري لأني لم اكن أتوقع منه الرضا كما لم اكن راغبة في الخروج حقاً ولكني كنت افعل ذلك مختلقة الطرق لمنعه عن الخروج الى الحان . على انه خطر لي أن خروجي معه وبقائي في صحبته ساعة او ساعتين قد يؤخرانه عن ميعاد الشرب فطلبت اليه ان يذهب بي الى السينماتوغراف . فاجابني الى ما طلبت وبعد برهة خرجنا وسلك بي طريقاً غير التي اعرفها حتى اذا صرنا في منتصفه اشار باصبعه الى محل مفتوح وقال :

سأتناول كأساً واحداً واعود لك حالاً .. فعرفت انها الحانة التي يتردد اليها كل ليلة ولست اقدر ان أصف الكراهية الشديدة والحقد العظيم الذي شعرت بهما اذ ذاك نحو تلك الحانة وتمنيت في نفسي أن تحرق محال الخمور كلها او يفلس كل من يتجر بالخمور علّه لا يعود يجسر على الاتجار بها او تحرم الحكومات بيعها او . او .

نو . من الأماني الكثيرة التي لا طائل تحتها

وفر جاك بسرعة قبل أن احاول منعه ولم يلبث ان عاد لي وهو يحلف اغلظ اليمينات انه لم يشرب الاّ كأساً واحداً — ولعله كان صادقاً في دعواه لانه لم يطل انتظاري له

و بعد نحو ربع ساعة كنت واياه في قاعة السينماتوغراف وأطفئت الأنوار وساد الظلام على القاعة وابتدأت الادوار

وكان آخر دور شاهدناه ان رجلاً كان يستهوي شاباً للدخول معه الى حان فابى هذا طلبه فدخلا وأخذا يشربان حتى لعبت الخمر برأسيهما فقام الرجل وانصرف . أما الشاب فبقي في مكانه واستمر يشرب حتى دخل عليه رجل آخر لم يعرفه . كان حاد العينين شديد الساعد قوي البنية جلس الى جانب الشاب ينادمه ويحرضه على المزيد

واستبطأت زوجة الشاب رجلها فخرجت تسعى في طلبه حتى عثرت به في الحان فوقع نظرها على الرجل الذي ينادم زوجها فخافت من عينيه ولم تدر لماذا اوجست منه شراً — وحاولت ان تأخذ زوجها معها الى داره فلم تفلح بل عادت وحدها تجر ذيول الخيبة والندامة تبكي سوء حظها وتعاسة زوجها

وظلا يشربان حتى انتصف الليل فقام الشاب قافلاً الى منزله وهو فاقد رشده لا يدري ما اذا كان يقصد المنزل او ينتظره حتى يمر به ما دامت الارض تدور

وظل الرجل يسحبه بساعد قوي ويد كالحديد حتى مر به في طريق كثرت فيه الاشجار واشتبكت اغصانها حتى اصبح منظرهـا مخيفاً . لا يمر به أحد الا نادراً خصوصاً في مثل هذه الليالي الغير المقمرة

وهنا اجلس الرجل زميله (الشاب) على جذع شجرة واخذ يسلبه ما في جيوبه . ولم يكن هذا الرجل الغريب الا لصاً محتالاً يؤم الحانات في اواخر الليل لعله يقع على

صيد مثل هذا الشاب المسكين . على ان الاخير لم يكن في جيوبه ما يروى ظمأ هذا النذل فتركه في تلك البقعة المنقطعة ورجع القهقرى ليهرب . ولكنه قبل ان يخطو بضع خطوات سمع وطء اقدام . وكان القادم حسن الملابس مليح الهندام تلوح عليه ملامح السراء . فاختفى اللص هنيهة ريثما مرَّ القادم من امامه وانقض عليه انقضاض الصاعقة وطعنه بسكين قضت في الحال على حياته ثم ركع الى جانبه وافرغ كل جيوبه واخذ منها الدراهم والاوراق المالية وكل ما رآه ثميناً

ولم يكتفِ هذا الرجل بان اوصل الاذى الى رجل واحد بل حاول ايذاء الشاب أيضاً وهو في غيبوبته وقد غلب عليه النعاس فنام هناك ... وضع اللص خنجره ملوثاً بالدماء ومحفظة القتيل في جيب الشاب السكران وولى الادبار هارباً .....

مرَّ الحرس فوجد القتيل ولم يجد أحداً بالقرب منه سوى الشاب وفي جيبه سكيناً تشهد عليه بالجريمة واوراقاً تثبت لصوصيته وتعلل اسباب القتل . فسيق الى السجن وابتدأ العدل يقتص منه على ذنب لم يجنه وجرم لم يعرف به الا في السجن بعد ان افاق من غفوته

وعلمت زوجته البائسة بالخبر وما كان اسوأ من سماعه على آذانها . أخذت امام القضاء لاستجوابها فاخذت تبكي وتندب غير ان دموعها الغزيرة ونكرانها لما لصق بزوجها لم تكن لتبرئه

ولما عرف القاضي انها لم تفهم شيئاً من كل ما جرى اشفق عليها واطلق سراحها فخرجت من امامه وهي تبكي وتولول على المصاب العظيم الذي حاق بها وبزوجها . وسارت تتخبط في طريقها لا تدري اين تذهب بعد ان سكن السجون شريك حياتها ولم تشعر الا وقد اصطدمت برجل بدين فرفعت نظرها نحوه فهالها منظره وخافت منه وانتفضت كما انتفض العصفور بلله القطر . مرت بذاكرتها صورته فاذا بها تنطبق على صورة الرجل الغريب الذي تركت زوجها يشرب الخمر معه بالامس

فخطر لها أن تطلب الى رجال الشرطة أن يقبضوا عليه وتسوق الى قاضي التحقيق الرجل الذي لم تعرف اسمه ولا امكنها ان ترشد عنه وقت استجوابها . ولكنها خافت ان يمتنع الشرطي من القاء القبض عليه بدون سبب فيفلت من يدها وان تعود تعثر به بعد اليوم . فوقفت جامدة في مكانها وصعدت الدموع الى عينيها . ولكن ما اسرع ان مسحتها وجدد الامل من نفسها قوة ارادة هائلة فجعلت وجهتها حيث كان يسير غريمها واسرعت تقتفي اثره على غير علم منه

سار الرجل امامها حتى خرج عن حدود المدينة واصبح في الخلاء الموحش وهي في اثره بقدم قوية وجأش ثابت حتى وصل الى منحدر فنظر حوله ليتأكد ان لا احد حوله يراه فاختبأت هي وراء شجرة على بعد ماية خطوة . ولم تشعر الا وقد اختفى عن ابصارها كأن الارض قد ابتلعته . فاسرعت وهي خائفة الى حيث كان واقفاً . فوجدت مغارة ونظرت داخلها اكثر من ثمانية رجال اقوياء اشداء كلهم لصوص امثاله . اخذ يقص عليهم ما جرى له ويوزع عليهم غنيمته

فلفتت المرأة وجهها واخذت تعدو بسرعة البرق اذ سمعت سر اتهام زوجها حتى وصلت الى دار القضاء وهي يكاد يقضي عليها التعب ويغمى عليها من شدة اللهث . فزودها القضاء ببعض رجال الشرطة وما اسرع ان هوجم جب اللصوص وسيق الاشقياء الى دار العدالة حيث وجدوا في جيوبهم ما اقتسموه من الاوراق المالية التي اثبتت شخصية القاتل وبراءة الشاب المتهم ..... فحكم القاضي بالافراج عن الاخير . فكانت زوجته اول من حمل اليه بشرى براءته وكان سرورهما بهذا اللقاء من بعد السجن كثيراً حتى ابكاهما . وخرجا من دار القضاء يدها في يده يهنئان بعضهما ..... انتهى السينماتوغراف . . . . . .

وكنت اكثر الناس تأثرا من فصول هذا الدور حتى لما انير المحل رأى جاك عيني مغرورقتين بالدموع كما رأيت انا في عينه دمعة

وتصور لي اذ ذاك ان خروجنا من محل السينماتوغراف كان شديد التشابه بخروج الشاب السكير البريء مع امرأته من السجن.

وتوقعت ان يسير بي جاك من الطريق الذي اتينا منهُ ولكنهُ عرج بي من طريق آخر — فنظرت اليهِ وانا اشير بيدي الى الشارع الذي فيهِ الحانة وقلت وانا اداعبهُ : — ألا تريد ان تتناول كأساً ؟ فنظر اليَّ نظرة صادقة وقال لن اصير مجنوناً مرة اخرى ولعل هذه العظة تكون آخر عهد بيني وبين بنت الحان فاني مطلقها وحقك منذ الليلة

وبرَّ جاك بعهده هذا وصار يمقت الخمر ولا يشربها مهما كانت الظروف والاحوال وانصلح حاله وتحسنت صحته وكبرت سعادتي وسعادته بهذه التوبة النصوح.

ع . ي . ع

مسألة المسائل

« انا لا اقول دعوا النساء سوافرا بين الرجال يجلنَ في الاسواق »
« كلا ولا ادعوكم ان تسرفوا في الحجب والتضييق والارهاق »
« ليست نساؤكم حُلاً وجواهرا خوف الضياع تصان في الاحقاق »
« ليست نساؤكم اثاثاً يقتنى في الدور بين مخادع وطباق »
« تتشكل الازمان في ادوارها دولاً وهن على الجمود بواق »
« فتوسطوا في الحالتين وانصفوا فالشرُّ في التقييد والاطلاق »

(حافظ ابراهيم) شاعر مصر

حدثني صديق عن نفسه قال :

اننا ولو كنا في القرن العشرين وهو العصر الذي بلغت فيه المدنية والتقدم شأواً بعيداً قضت به على معالم الجهالة والخمول لكن لا تزال بقايا العادات القديمة راسخة